مسلمو الهوي الصينيون في يونن:
علم الأنساب العربية وشبكات الشتات بين الصين ودول جنوب شرقي آسيا

د. جيانزيونج، ما

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

مسلمو الهوي الصينيون في يونن:
علم الأنساب العربية وشبكات الشتات بين الصين ودول جنوب شرقي آسيا

مسلمو الهوي الصينيون في يونن:
علم الأنساب العربية وشبكات الشتات بين الصين ودول جنوب شرقي آسيا

جيانزيونج، ما
قسم العلوم الإنسانية، جامعة هونغ كونغ للعلوم والتكنولوجيا

ورقة قدمت ضمن فعاليات
منتدى الرحمانية السنوي
يناير ٢٠١٤
الغاط

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

ح مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ١٤٣٥هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

يونج ما، جيانز
مسلمو الهوي الصينيون في يونان: علم الأنساب العربية
وشبكات الشتات بين الصين ودول جنوب شرقي آسيا. / جيانز
يونج ما. - الرياض، ١٤٣٥هـ.
٦٠ ص؛ ٢٣,٥ سم.
ردمك: ٧-٩-٩٠٤٧٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الهوي (قومية صينية مسلمة) ٢- الاسلام - الصين ٣-
المسلمون في الصين أ. العنوان.
ديوي ٢١٠,٩١٥١ ١٤٣٥/٩٣٠٤

رقم الايداع: ١٤٣٥/٩٣٠٤
ردمك: ٧-٩-٩٠٤٧٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

بحوث الرحمانية: ورقات مختارة ممايتم تقديمه في منتدى الرحمانية السنوي، وهو لقاء ينظر في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الدوليّة، ذات الصلة بالمملكة العربية السعودية. ينظم المنتدى مركز الرحمانية الثقافي في مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ويشارك فيه أكثر من أربعين مفكراً وباحثاً ومهتماً من المملكة العربية السعودية والدول العربية والأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. يقام المنتدى سنوياً في الغاط.

جيان شيونغ ما

أستاذ مشارك في علم الإنسان في قسم العلوم الإنسانية في جامعة هونغ كونغ للعلوم والتكنولوجيا. تشمل كتبه أقلية لاهو في جنوب غربي الصين: رد على التهميش العرقي على الحود (لندن: روتلج، ٢٠١٢)، ومن «عصابت أشرار لو» إلى «جنسية لاهو: التاريخ والهوية العرقية في بناء الحدود الجنوبية الغربية للصين (باللغة الصينية - هونغ كونغ: مطابع الجامعة الصينية، ٢٠١٢).

يركز بحثه الحالي على التشكل التاريخي للحدود بين الصين وبورما والظروف البيئية للتنوع الثقافي والعرقي في جنوب غربي الصين، وخاصة في مقاطعة يونن.

مسلمو الهوي الصينيون في يونن:
علم الأنساب العربية
وشبكات الشتات بين الصين ودول جنوب شرقي آسيا[1]

الملخص

من القرن الثالث عشر وحتى الخامس عشر وخلال حكم سلالة مينغ (Ming) في الصين، وطنت أعداد كبيرة من شعوب الهويهوي (Huihui) في وسط آسيا وأجـزاء من الصين الوسطى حتى يونن (Yunnan)، حتى إن بعضهم فقد هويته المسلمة وتقاليده الإسلامية الأصلية تدريجياً. بعد القرن السادس عشر، وفي فترة التحوّل من مينغ (Ming) إلى ممالك الكينج الحاكمة (Qing)، بدأ بعض مفكري الهويهوي بتشكيل حركة لإعادة تفسير الأفكار الإسلامية بوساطة المبادئ الكنفوشية أو الكنفوشية الجديدة.

ومن خلال هذا التغيير، أعيد تشكيل هوية الهوي (Hui)، وطوّر النظام الإسلامي للتعليم في المجتمعات، اعتمادًا على الجمعيات الخيرية لتوسيع المجتمعات المحلية لتصبح شبكة، فقد كانت كل هذه التطورات مبنيّة على الموارد الخيرية المحلية بشكل رئيس،

(١) نُشرت هذه المقالة للمرة الأولى تحت عنوان «إعادة هوية الهوي والشبكة الخيرية في الامتداد الامبريالي من مينغ إلى كينج في الحدود الجنوبية-الغربية للصين»، في:
Charities in the Non-Western World: the Development and Regulation of Indigenous and Islamic Charities, Rajeswary Ampalavanar Brown and Justin Pierce (eds.), New York: Routledge, 2013, pp. 147-70.
فهي حصيلة مشروع بحثي، منحته لجنة منح المنطقة في الجامعة للخطة الممتازة المعنونة: «علم الإنسان التأريخي للمجتمع الصيني»؛ فالشكر الخاص من الباحث لـ راجسواري امبالافانار براون (Rajeswary Ampalananar Brown)على دعمها طويل الأمد لأبحاثه، وبخاصة هذا المشروع عن شعوب الهوي.

والتي مصدرها المناجم الموجودة في المناطق الجبلية، والتجارة البعيدة، وخاصة على حدود يونن - بورما (Yunnan – Burma).

فمثلاً، عندما حاولت دولة كينج (Qing) إنتاج المزيد من النحاس والفحم، كان كثير من المناجم تحت سيطرة ذوي النفوذ من الهوي. وخلال توسُّع شبكة الهوي، أسست النخبة منهم التعليم الإسلامي في مسجد مجتمعي، وكان هذا التعليم معتمداً على العنصر الخيري المجتمعي في قراهم الأصلية. وقد شكّل هذا التعليم أساسًا ثقافيًا للحكم الداخلي وللشبكة الإقليمية لإدارة الأعمال ونقل البضائع. لذا استطاع كثير من مسلمي الهوي التحرّر من الأعمال اليومية الزراعية، والضريبة الرسمية المفروضة عليهم؛ لأن العناصر المشتركة (قامت بدور المنظمة المجتمعية، وأصبحت غطاءً للتعامل مع الدولة؛ وبهذه الطريقة كان دور الجمعية الخيرية للعناصر المشتركة تقديم التعليم في المسجد، والتعامل مع الشؤون المجتمعية، واستضافة المسافرين والقادمين من مسافات طويلة، والقيام بالأعمال الرسمية؛ وفي الوقت ذاته، وبناء على البنية التحتية الثقافية، مثل علم دراسة الأنساب والتفسير الكونفوشي للإسلام، فقد أصبح الاشتراك في الشبكة ممكنا.

إضافة إلى ذلك، فقد دعم بعض المفكرين الكونفوشيين والمسلمين هذا الإصلاح المنهجي، خلال عقدي ١٧١٠م و ١٨١٠م، إذ أنشئت شبكة الهوي بناء على «الجمعية الخيرية للعناصر المشتركة» (Common Items Charity)، ووفر هذا النظام مؤسسة أساسية، وتماسكا متكاملا لمجتمعات الهوي؛ فضلا عن

توسّع واضح للشبكة. ولكن عندما تقلصت موارد المناجم، نشأت بعض الخلافات الخطيرة، وأحدثت انتفاضة الهوي المسلمين خلال الفترة من خمسينيات القرن التاسع عشر إلى سبعينياته.

وبشكل عام، كانت عملية إصلاح هوية الهوي مرتبطة بشبكة العمل الخيري، وهي مبنية في الأساس على مشاريع ثقافية مثل تفسير الإسلام بالمبادئ الكونفوشية، ووضع أنساب مشتركة لربط الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بشخصيات تاريخية محلية؛ حتى يتسنى للشبكة المجتمعية المحلية - المبنية على الأملاك المشتركة والمؤسسة الخيرية - الظهور. ووفرت هذه الآلية الاجتماعية الربط بين أقاليم الامبراطوريات الصينية من أطرافها إلى مركزها كجزء من بناء امبراطورية على الحدود. وقد كانت، من ناحية، وسيلة لاستمرارية الدين؛ كما كانت حركة جديدة للتفسير الديني في عملية حشد الهوية في فترة من التحول السياسي من مينغ (Ming) إلى منتصف كينج (Qing) في الصين.

المقدمة

أكثر الأقطار تنوّعا عرقياً في جنوب غربي الصين هو يونن (Yunnan)، إذ إن ٣٤٪ من سكانه، البالغ عددهم ٤٥,٩ مليونا من الأقليات العرقية في ٢٠١١، وحوالي ٠,٧ مليون من أقلية الهوي بناء على تعداد ٢٠١١م[1]، وعلى الرغم من أن الهوي يمثلون

(1) The public report on the 2010 Census of Yunnan, Yunnan Provincial Bureau of Statistics, May 9, 2011. (http://www.docin.com/p-200978626.html. Accessed on December 3, 2011).

١,٥٢٪ من إجمالي سكان المحافظات، إلا أن أعضاء هذه الأقلية العرقية في يونن وفي الصين يُعرفون بـ «غرباء الصين المألوفين»، وهم الصينيون المسلمون[١]. وقد أعاد مسلمو الهوي في يونن بناء كثير من المساجد في فترة ما بعد إصلاحات ماو (Mao). وتُظهِرُ بعض الدراسات أن الهوي قاموا بإحياء شبكتهم الدينية، وكان هذا الإحياء جزءًا من تيار قومي أوسع؛ نتيجة للوعي التاريخي للاضطهاد من قبل الدولة والجماعات غير المسلمة. ويرى كثير من أفراد الهوي أن ممارستهم وتعزيزهم لإيمانهم في ضوء إرث المدِّ الإسلامي، يمثّل مطلبا دينيا للدفاع عن عقيدتهم وشعبهم. ويحدد أفراد الهوي سياستهم وثقافتهم في تاريخ المقاومة ضد القمع في يونن في سياق الإحياء الإسلامي المعاصر[٢].

وبناء على هذه الدراسات، فإن الإحياء الثقافي والديني بعد الثورة الثقافية في الصين يعني العودة إلى التقاليد، كما أنه فرصة لتحديث ثقافتهم ومجتمعاتهم[٣]، ولكن ما هي تقاليد الهوي الحقيقية وممارساتهم الثقافية، مع أن دراسات سابقة كشفت عن أن شعب الهوي «قد اكتسب اللغة واللباس وفن العمارة وفنون الطهي الخاصة بالمجموعات الأخرى التي عاشوا بينها[٤]، إلا أنهم مسلمون سنيون».

(1) Jonathan N. Lipman, Familiar Strangers: A History of Muslims in Northwest China, Seattle and London: University of Washington Press, 1997.

(2) David G. Atwill, The Chinese Sultanate: Islam, Ethnicity and the Panthay Rebellion in Southwest China, 1856-1873. Stanford: Stanford University Press, 2005.

(3) K. McCarthy, Communist Multiculturalism: Ethnic Revival in Southwest China, Seattle and London: University of Washington Press, 2009, p131.

(4) Ibid. p132.

وفي يونن، اتبع معظمهم الجيديمو (Gedimu)، المبنية على الـ «قديم» في اللغة العربية، ولكن أدخلت في التاريخ، أيضاً، النقشبندية الصوفية (Naqshbandi Sufism)، المعروفة بالزهرانية (Zheherenye)، (في العربية الجهرية-Jahriyya) والإهوانية (Yihewani) (من الإخوان في العربية)[1]؛ من أجل تقديم فكرة معينة عن الهوي المسلمين (Muslim Hui)، ويبدو أنهم مجموعة من المسلمين خارج المجتمع الصيني في التاريخ، ولكنهم اندمجوا تدريجياً مع الثقافة الصينية، إلا إنهم ما يزالون ملتزمين بتقاليدهم الدينية للحفاظ على وضعهم كـ «غرباء»، إلى حدٍّ ما، في الصين[2].

يهدف الباحث في هذه الدراسة إلى الإشارة إلى أهمية النظر تاريخياً إلى هوية الهوي (Hui)، ومنظماتهم المجتمعية، المبنية على المساجد المجتمعية المحلية في يونن، بوصفها عملية إصلاحية؛ فقد دُمج هذا الإصلاح في المجتمعات مع تحوّل الامبراطورية الصينية، ورُبط مع أيدلوجيات الدولة المختلفة، فضلا عن تطوير الأملاك الجماعية المشتركة المبنية على إعادة بناء المؤسسة الخيرية للمجتمع.

وبالاعتماد على المؤسسة الخيرية المجتمعية، أصبح نظام الشبكة المجتمعية ممكنا. وقد وفرت عملية بناء الجمعيات الخيرية

(1) Ibid., p133.

(2) Ibid., p133; Jonathan N. Lipman, Familiar Strangers: A History of Muslims in Northwest China, Seattle and London: University of Washington Press, 1997; David G. Atwill, The Chinese Sultanate: Islam. Ethnicity, and the Panthay Rebellion in Southwest China, 1856-1873, Stanford, California: Stanford University Press, p35.

الموارد اللازمة للنمط الصيني في تعليم المساجد، والذي استقى مبادئه من الكونفوشية، ووفر نظام التعليم هذا أيضا آلية للتواصل من خلال الزواج المتبادل، وتعليم الطلاب، واستقبال الضيوف، وغيرها. ويمكن اعتبار الشبكة المجتمعية هذه البنية التحتية للتجارة الدولية بين يونن وبورما والنظام الوطني للتعليم الديني. وإضافة إلى ذلك، قام بناء المؤسسة الخيرية أيضا بدور مهم في تشييد شبكة وطنية للنخبة الوطنية، والتي جُمعت من خلالها الأنساب المشتركة، كمشروع ثقافي لربط الأفكار الكونفوشية مع الأفكار الإسلامية المرتبطة بالرسول صلى الله عليه وسلم. وأسست حركتهم سلطة دينية لهم في بناء الجمعيات الخيرية المجتمعية. وهذه الحركة تدلنا على أن العمل الخيري المجتمعي لا يمكن عَدُّهُ مؤسسة أساسية لمجتمعات الهوي منذ بدايتهم فقط، لا بل تغييراً تاريخياً واستراتيجية ثقافية في إعادة بناء هوية الهوي وشبكتهم. وقد قامت الأملاك المشتركة كأساس للعمل الخيري بدورٍ مهم في إعادة البناء هذه.

التحوّل الاجتماعي من المينغ (Ming) إلى الكينغ (Qing) على حدود يونن (1640s - 1720s1)

في أربعينيات القرن السابع عشر، وعندما عزم المانشو (Manchu) على القتال مع المينغ (Ming) في الشمال الشرقي، احتل الفلاحون المتمردون بكين، بقيادة لي زي تشينغ (Li Zhicheng) ثم سقط حكم مينغ على يد جنرال سابق من مينغ يدعى وو شانغوي (Wu Shangui)، والذي كان قد حاصر مينغ.

ووصل جيش المانشو (Manchu) إلى بكين عام ١٦٤٤. وقد قضت حكومة الكينغ (Qing) على تمردات الفلاحين بسرعة، وأنشئت محكمة لاجئين في مينغ بجنوبي الصين. وفي عام ١٦٤٦م، قام بعض مؤيدي مينغ بتنصيب واحدٍ من سلالة امبراطور مينغ السابق حاكما على زاوكين (Zhaoqin) في غوانغدونغ (Guangdong) لمقاومة الكينج. وكان امبراطور مينغ الجنوبية معروفًا باسم الامبراطور يونغلي (Yongli). وبعد ذلك، وفي عام ١٦٥٢م، تعاون مسؤولو مينغ مع ما تبقّى من جنرالات الفلاحين المتمردين مثل لي دينجوو (Li Dingguo)، وباي وينكسوان (Bai Wenxuan). وتم نقل محكمة مينغ الجنوبية إلى يونن واعتبروا كونمينغ (Kunming) عاصمة جديدة لمحكمة مينغ الخاصة باللاجئيين. وفي عام ١٦٥٩م، سار جيش كينغ الجرار، بقيادة الجنرال وو سانغوي (Wu Sangui) وجنرالين آخرين من مانشو إلى مدينة كونمينغ، فهرب الامبراطور يونغلي وأنصار مينغ إلى يونغتشانج (Yongchang) غربي يونن. وبعد شهرين، هرب لاجئو محكمة يونغلي ولاجئو جنوبي مينغ إلى بورما. وتبعت ذلك أعداد كبيرة من المواطنين السابقين والمسؤولين، الذين هربوا إلى بورما. وفي مايو من العام نفسه، أعيد توطين اللاجئين من قِبل ملك بورما في العاصمة آفا[1].

وكانت فترة التحول من مينغ إلى كينغ في يونن فترة استمرار لانتفاضات الفلاحين ومقاومة المواطنين الأصليين للجيوش

(1) Guo Yingqiu, The Chronicle of Li Dingguo, Beijing: People's University Press, 2006. Ma Yao edited, The Concise History of Yunnan, Kunming: Yunnan People's Publishing House, 2009, p104.

القادمة من كينغ. واستمر القتال بين جيوش مينغ وجيوش كينغ المتبقية لأكثر من عشرين عاماً.

وفي عام ١٦٦٢م وتحت ضغط شديد، أرسل ملك بورما الامبراطور يونغلي إلى كونمينغ (Kunming) فقتله الجنرال وو سانغوي (Wu Sangui)[١]. ومع ذلك، وبعد أن أصبح كانغسي (Kangxi) الامبراطور الجديد لسلالة كينج الحاكمة الجديدة، اتفق الجنرال وو سانغوي مع الامبراطور الجديد على المشاركة في يونن على أن تكون مملكة منفصلة. وفي الأعوام الثمانية التالية حتى ١٦٨١، حاربت جيوش كينغ قوى الجنرال وو (Wu). وأخيراً، دُمر هذا المتمرد من الامبراطور الشاب كانغسكي، وعاد النظام الاجتماعي إلى يونن بالتدريج[٢].

وخلال فترة من الفوضى الاجتماعية من ثلاثينيات القرن السابع عشر إلى ثمانينياته، انخفض عدد السكان المحليين انخفاضا كبيرا، وكانت النخبة من السكان المحليين الذين كانوا قد خدموا محكمة مينغ للاجئين أو حكومة وو سانغوي خائفة من معاقبة حكومة كينغ لهم. وإضافة إلى ذلك، فإن التحدي الثقافي والنفسي الأكبر للنخبة المثقفة من الذين تعلموا على أسلوب مينغ وأيدولوجيات الكونفوشية الجديدة وأخلاقياتها، كان في كيفية التعامل مع حاكم المانشو الجديد.

وفي هذه الفترة من تاريخ يونن، فإن التحوّل السياسي من

(1) Ibid, p104.
(2) Ibid. p107.

مينغ إلى كينغ في الفترة التي استمرت نحو خمسين عاماً، دفع الشعب للتعايش مع أيديولوجيات وتجمعات دينية مختلفة. ومن هذه الحالات نشأت حركة «الديانة السائدة» (Big Vehicle Religion) في جبال الجيزو (Jizu) في منطقة دالي (Dali)، غربي يونن، حيث قام بعض العلماء الكونفوشيون بتدريب عدد من الرهبان؛ مدّعين أن خَلاصَهم النهائي مستند إلى نظرية الجمع بين البوذية والطاوية، وطوروا هذه الحركة إلى شبكة سرّية جديدة مقرها جبال جيزو المقدسة في منطقة دالي وبعض المناجم في يونن، وامتدت أيضا إلى بعض المقاطعات مثل سيتشوان (Sichuan) وجيانغسو (Jiangsu) وهونان (Hunan). وقد طور هذه الحركة العلماء الكونفوشيون مثل زانغ باوتي (Zhang Baotai) ويانغ بنجهي (Yang Pengyi)، اللذَين أصبحا مشاركين مع لاجئي مينغ ومحكمة الامبراطور يونغلي. وتم استخدام هذه الحركة الدينية لحشد بعض الانتفاضات لاحقا، المعروفة باسم انتفاضات الورد الأبيض (White Lotus Rebellions)[1].

ووضحت حركة الديانة السائدة (Big Vehicle Religion)، خلال فترة التمدد الامبراطوري من مينغ إلى كينغ، أن علماء الكونفوشية الذين نشأوا تحت حكم مينغ جرّبوا طرقاً بديلة لتحقيق الحشد الديني خلال فترة حكم كينغ المبكرة لممارسة مبادئهم السياسية، وتصرف بعضهم كمؤسسين أو قادة دينيين. وفي هذا السياق التاريخي، أيضاً، حاول بعض علماء الكونفوشية الجديدة

(1) Ma Jianxiong, «Shaping of the Yunnan-Burma frontier by secret societies since the end of the 17th century», in Moussons, vol. 17, pp.65-84.

البحث عن موارد دينية بناء على خلفية أسرهم الإسلامية.

ومثال آخر على هذا السياق التاريخي، هو قصة ما زو (MaZhu)، والتي سوف تُناقش في الأجزاء الآتية، إذ سيتم البحث في جهوده وتأثيره في البحث عن التفسير الإسلامي، استناداً إلى التدريب الكونفشي على أسلوب مينغ، وبعض العواقب الاجتماعية لهذه الحركة.

دراسة نسب الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، من وجهة نظر العلماء الكونفوشيين

أ- ما زو وحياته في التحوّل الامبراطوري من مينغ إلى كينغ

في ثمانينيات القرن الرابع عشر، وبعد استقرار جيش مينغ في المدن الرئيسة على طول طرق النقل في يونن، تواصلت عمليات التمرد ضد حكومة مينغ في مناطق مختلفة. ووقعت الحروب مع بورما، وشُنّت هجمات عسكرية رسمية على السكان الأصليين خلال حكم مينغ. مع ذلك، وفي الوقت نفسه، أصبح التعليم الكونفوشي قويا بشكل تدريجي، وامتد من المناطق الأساسية مثل كونمينغ (Kunming) ودالي(Dali) ولينان (Linnan) إلى مناطق حدودية أخرى مثل يونجتشانج (Yongchang) وشانينج (Shunning). وفي هذه المناطق، وعندما تطور التعليم الكونفوشي في منتصف مينغ تم تشجيع النخبة من السكان على المشاركة في الاختبارات المدنية الوطنية. وبعد العقد الأول من عام ألف وخمسمائة، لقب عددٌ من علماء يونن الأصليين بـ «جنشي» («Jinshi») ورقّيَّ كثير

منهم ليصبحوا من كبار المسؤولين، واكتسبوا الشهرة.

ومن بين مسؤولي مينغ، أصبح يانغ ييقينغ (Yang Yiqing)، ولي ييِنجلونج (Lei Yinglong)، ويانغ شيون (Yang Shiyun)، وزانغ زيشونغ (Zhang Zhichun)، ولي يوان هانغ (Li Yuanyang) وآخرون، أصبحوا أعضاء ناشطين في مجموعة علماء نشطة، إذ إنهم لم يتشاركوا المثل العليا السياسية فحسب، بل حاولوا أيضا إنشاء نظام محليٍّ للتعليم الكونفوشي. وبجهودهم، بُنيت كثير من المدارس المجتمعية المحلية في المدن والمناطق الغنية، مثل: كونمينغ، ولينان، ودالي. وامتد نسيج هذه الشبكة بين علماء الكونفوشية أو مسؤوليين متقاعدين.

وارتبطت الصلة العلمية بين كونفوشية يونن الجديدة ارتباطاً وثيقا مع وانغ يانمينغ (Wang Yanming) ولي زي (Li Zhi) ويانغ شن (Yang Shen) على المدى الطويل من ناحية، وبعض مسؤولي يونن الأصليين في المحكمة أو في أماكن أخرى، من ناحية ثانية. وقد أصبحت الشبكة الكونفوشية للتعليم والتبادل العلمي بين العلماء، إضافة الى التواصل بين المسؤولين معلما بارزا في أواخر فترة مينغ[1].

لم تدرب الدراسة الأكاديمية الكنفوشية المتقدمة والمحلية والتعليم العديد من الطلاب من مختلف المجموعات الأصلية مثل باي (Bai)، والمنحدرين من أسر هان (Han) العسكرية، على

(1) Ni Tui, The Chronicle of Yunnan, Yunnan University Press, 1992; Fang Shumei, The Collection of Yunnan Inscriptions, Kunming:Yunnan Nationalities Publishing House, 2003.

سبيل المثال في محافظة دالي في أواخر عهد مينغ، ولكن أيضا أصبحت مؤسسة تُسهم في إعادة بناء الهويات المحلية، وتغيير التقاليد المحلية[1].

كما بُنيت الهويات المحلية لعلماء يونن الكنفوشيين حسب خبراتهم التعليمية وأنشطتهم الأكاديمية، كجزء من الحركة الوطنية الكنفوشية الجديدة، في أواخر حكم مينغ؛ وعلى سبيل المثال، أرسل أحد العلماء المحليين، زوجي (Zhuji)، في منغوا Menghua، ابنه للدراسة مع وانغ يانمينغ (Wang Yangmin) عندما سكن وانغ في مقاطعة جيزو (Guizhou). كانت الصلة البحثية العلمية نظاما مألوفا لهؤلاء العلماء؛ لأنهم كانوا عادة متقاعدين حكوميين. وعندما عملوا كضباط متجولين (Liu Guan) في أماكن مختلفة، كوّنوا علاقاتهم الشخصية مع معلميهم وطلابهم وزملائهم؛ وفي هذا السياق الاجتماعي، أصبحت حياة ما زو (Ma Zhu) أسهل للفهم.

وكان ما زو ، يوسف، (١٦٤٠-١٧١٠؟) شخصية اجتماعية مهمة في تشكيل مجتمع الهوي في مقاطعة يونن. وكتب كتابه دليل الإسلام (كينجزن زينان، 清真 指南 ، Qingzhen Zhinan)، في عام ١٦٨٣م في بكين؛ فكان واحدا من أكثر النصوص التفسيرية الأساسية للإسلام باللغة الصينية.

(1) Ma Jianxiong, «Historical Process in the Bazi Basin Ecological System: A Case Study of the Zhaozhou Bazi Society in Western Yunnan Mountains Area, Southwest China», The First Conference of East Asian Environmental History, October 24-26, 2011.

كتب ليو زي (Lui Zhi) كتاباً آخر بعنوان شرح العناصر الرئيسة للطقوس الإسلامية (تيانفانغ ديانلي ،Tianfang Dianli 礼典 方 天)، وكان ذلك نحو (١٦٦٠-١٧٣٠؟). بعد ما زو، عُدَّ ما زو وليو زي سلفَين للمفسرين الصينيين للإسلام، على أساس خلفيتهم في التعليم الكنفوشي. ولكن، كان معروفا أيضا أن ما زو كان مربيا إسلاميا وعالما كنفوشيا في يونن. إضافة إلى ذلك، كان ما زو أول من جمع علم الأنساب لـ سيد ال-آجال -دين (典 赛 丁思 瞻 • 赤). وحاول أيضا ربط أسر هوي الصينية المسلمة مع هذه الشخصية التاريخية الشهيرة في عهد أسرة يوان (Yuan) الحاكمة، ثم نسبها إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وأصبح هذا الإصدار من علم أنساب سيد ال –آجال-دين نصا مؤسسا لشعب الهوي في الصين والذي عُدَّ أسرة خيالية، في حال ادّعى أياً منهم أن أنسابهم مرتبطة بالرسول صلى الله عليه وسلم في الصين[١].

ولد ما زو في قرية بانكياو (Banqiao) في محافظة يونغ تشانغ (Yongchang)، وهي ما تسمى اليوم باوشان (Baoshan) في غربي يونن، وكان يلقب والده بـ ما شيكونغ (Ma Shikong) (بمعنى المتبع للتعليم الكونفوشي (师 孔)) بلقب جورن 举人 (Juren) في عام

(١) سيد الـ-أجل-دين (١٢١١-١٢٧٩) كان يُكنى بـ ملك الزيان يانغ (الزيان يانغ وانغ) (Xian-yang Wang) عندما كان في شانكسي قبل أن يُعيّنهُ كوبلي خان (Kubai Khan) محافظا لمقاطعة بنجشانغ زينغشي (Pingzhang Zhengshi) عام ١٢٧٤م. فقد عمل بعض التعديلات الدستورية المهمة في يونن، وبذلك عُرف بـ ملك الزيان يانغ في يونن. قامت حكومة يوان بتعيين أبنائه موظفين في عدة مقاطعات في الصين، وبذلك سنحت الفرصة لشعوب الهوي من مختلف المقاطعات لأن يربطوا نَسبهم بأحد أبناء سيد الـ-أجل-دين. انظر Song Lian, "History of the Yuan, volume 125, "Biographies.

١٦٤٢م. ولكن الجد الأكبر لـ ما شيكونغ (Ma Shikong) كان أيضا عالما مؤهلا، وكان قاضيًا لمقاطعة في سيتشوان (Sichuan). وفي وقت لاحق، عمل جد ما زو مسؤولا رفيعا في القسم العسكري في نانجيانغ (Nanjiang).

ولكن المنيّة وافت والد ما زو ما شيكونج (Ma Shikong) عندما كان ما زو بعمر سبع سنوات فقط، وترعرع على يديّ والدته السيدة وو (Wu)، وشقيقه، حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره. وحاز أحد أصدقاء والده؛ زانغ شاي مينغ –أيضا– لقب Juren في فحص المستوى الإقليمي في السنة نفسها مع والد زو. لذلك، أصبحت العائلتان قريبتين من بعضهما بعضًا.

كان زانغ شيمينغ (Zhang Shiming) يدير مدرسة خاصة في يونغ تشانغ (Yongchang) وسمح لما زو أن يكون أحد طلابه. بعد عام ١٦٥٢م، عندما انتقلت محكمة مينغ الجنوبية إلى يونن، التحق زانغ شيمينغ بها كتلميذ محلي، وكان قد عُين من اللاجئين، الامبراطور يونغلي (Yongli)، مسؤولاً للسكرتارية في قسم الطقوس. وشارك ما زو في عام ١٦٥٦م في الامتحان المدني الذي عقدته محكمة مينغ الجنوبية. وبعد ذلك شجعه معلمه على الانضمام إلى حكومة مينغ الجنوبية، للقتال مع حكومة كينج المنشأة حديثا. عمل زانغ شيمينغ وما زو كمضيفين محليين بجدية لدعم المحكمة الهاربة في كونمينغ (Kunming)، ولكن في عام ١٦٥٩م انسحب الامبراطور الهارب إلى يونغ تشانغ، ثم إلى تينجوي (Tengyue).

وأخيراً، استقرت المحكمة في آفا (Ava) في بورما. في محكمة مينغ الجنوبية، تم تعيين ما زو في البداية سكرتيرا لها، ولكن بعد ذلك تمت ترقيته إلى مسؤول أعلى (锦衣侍御)، وعمل مباشرة مع الامبراطور يونغلي، إلى أن قُبض على الامبراطور يونغلي، وقتله الجنرال وو شانجوي (Wu Shangui). هرب ما زو من لاجئي مينغ، وعاش في عزلة في قرى مختلفة، وعمل مدرساً في قرية ليتدبر قوت نفسه، وكتب الآتي:

«مع شغفي بالسفر والأدب، جربت وظيفة حكومية رسمية عندما كان عمري عشرين عاماً. وعندما كان عمري خمسة وعشرين، سافرت بحثاً عن الأمثلة العُليا للطاوية والبوذية، وكتبت كتاب «التفسيرات النصية» (جينغ كوان 经权 Jing Quan)، لأترك ورائي نصا خالدا للتاريخ. في هذه الفترة، قمت بدراسة المُثل الأعلى (الكنفوشي) زيو (Xiu)، وكي (Qi)، وزي (Zhi)، وبينغ (Ping)، والمثل العليا حول صقل الذات وإدارة الأسرة، وحكم البلاد، وجعل العالم مسالماً، وظننت أنني قد حصلت على الفهم المطلق. ولكن عندما كان عمري خمسًا وثلاثين، بدأت البحث عن أفكار النص الإسلامي والدين، وأردت أن أعرف معنى القَدَر ومنشأه. وبعد أن درست أياماً وليالٍ، أدركت فجأة أنني لا أعرف شيئاً على الإطلاق! وكان لديّ عدم فهم مطلق للمستقبل. ومنذ ذلك الحين،

سافرت في كل مكان، للبحث عن سادة وأساتذة كبار للمشاهدة أو الاستماع من أجل اكتساب المعرفة. وكتبت كتاب «دليل الإسلام».

من الواضح، أن ما زو كان عالما كنفوشياً، وكان قد عمل مع حكومة مينغ الجنوبية لسنوات عدة عندما كان شاباً. وبعد فشل هذه المقاومة السياسية ضد قدوم جيش كينغ، ركّز ما زو جُلّ اهتمامه على دراسة النظريات الكنفوشية لنحو عشر سنوات قبل أن يغير اتجاهه ويبدأ بدراسة الإسلام. لم ترتبط شخصيته بعمق مع سياسات مينغ فحسب، بل ارتبطت حياته أيضا بجدية مع مذهب مينغ وسياسته، وزار ما زو منطقة ودينغ (Wuding) في عام ١٦٦٥م مع أحد أصدقائه المقربين، ويدعى هي غوانغوو (He Guangwu)، وكان أيضا عالماً كنفوشياً شهيراً من عائلة باي (Bai) الأصيلة في دالي. وكان الغرض من هذه الرحلة البحث عن بعض الإرث التاريخي لثاني امبراطور من أسرة مينغ الحاكمة، والمعروف بالامبراطور جيان وِن (Jianwen)، الذي استولي عمه زودي (Zhudi) على عرشه. قام زودي (Zhudi) أو الامبراطور يونغل (Yongle) بارسال زنغ هي (Zheng He) بالباخرة إلى الجزيرة العربية وإفريقيا من ١٤٠٥ إلى ١٤٣٣، وزينغ هي ينحدر من عائلة هوي في

يونن، وعرف بعض مواطني يونن أن الامبراطور جيان وِن هرب إلى يونن بعد أن تم الاستيلاء على عرشه، وأصبح راهباً في معبد في ودينغ. ولم يستطع ما زو في هذه الفترة من حياته أن يتخلى عن هويته كشخص باق من مينغ؛ لأنه كان لا يزال مرتبطا عاطفياً بـ مينغ المفقودة. وكانت دراسته عن نظرية الكنفوشية هي طريقته لاستكشاف الذات في هذه الحالة. وتمت دعوته في وقت لاحق ليكون معلما للكونفوشية في ودينغ، حيث درّس كثيرًا من طلاب الكنفوشية هناك.

بعد الحرب بين محكمة كينغ وقوة المعارضة الجنرال وو سانغوي (Wu Sanghui) في يونن في عام ١٦٦٩م، تقاعد ما زو من عمله في التدريس، ليهرب مرة أخرى من الحروب القادمة والفوضى في يونن، وسافر منها إلى غويزو (Guizhou) وهونان (Hunan)، ثم وصل إلى بكين، وبعد ذلك، استضافه ملك يان (Yan) لفترة طويلة[1].

وخلال فترة إقامة ما زو في بكين، بدأ تفاعله الأكاديمي مع بعض علماء الإسلام في مختلف المساجد، وفي الوقت نفسه، بدأ دراسته للإسلام واللغة العربية. وأنهى ما زو كتابه «دليل الإسلام» في عام ١٦٨٣م، عندما كان عمره أربعاً وأربعين سنة. وفي السنة

(1) Ma Zhu, The Guide of Islam, «Preface», Yinchuan, Ningxia People's Publishing House, p7; Liu Yuzhao, «Ma Zhu's Family Background and Life», Journal of Hui Muslim Minority Studies, Vol., 66 (N0.2, 2007).

التالية، غادر بكين للذهاب إلى مقاطعات شاندونغ (Shandong)، وزيجاينغ (Zhejiang)، وآنهوي (Anhui)، وشانكسي (Shanxi) وسيشوان (Sichuan)، حاملاً مخطوطة كتابه للتبادل الأكاديمي مع العلماء؛ وهكذا بنى علاقات مع مجتمع الهويهوي (Huihui) وشبكة البحوث الإسلامية في الصين. واستقبلته أسرة زنغ هي (Zheng He) بحرارة في نانجينغ (Nanjing). وكان اسم زنغ هي هو ما سانباو (Ma Sanbao)، وينحدر من عائلة هوي في كون يانج (Kunyang) في يونن، وقد مُنح لقب زنغ من قبل الامبراطور يونغل عندما استولى الامبراطور جيانوين (Jiangwen) على العرش في عام ١٤٠٢م. وقد ساعد ما سانباو الامبراطور يونغل كثيرا في إنجاح الانقلاب. كان والد زنغ هي قد أدى مناسك الحج، وكانت أسرته ما تزال تمارس الإسلام في نانجاينغ عندما زارهم ما زو. وبمساعدة أسرة زنغ هي في نانجينغ، شارك ما زو أيضا تجربته الإسلامية الأكاديمية مع عالم مهم آخر يدعى ليو سانجي (Liu Sanjie).

وخلال ثلاث سنوات من سفره إلى مختلف مجتمعات الهويهوي في الصين، تمت مراجعة كتابه «دليل الإسلام» بدقة من معظم علماء هوي المشهورين في زمنه. وراجع ما زو كتابه مرات عدة من خلال تبادل الأفكار في تلك الفترة. وعاد إلى يونن في عام ١٦٨٧م عندما أصبح الوضع الاجتماعي مستقرا. وفي عام ١٧١٠م، أنهى ما زو الصياغة النهائية لكتابه، والذي أصبح منذ ذلك الحين واحداً من الكتب الأكثر تأثيراً عن الإسلام في اللغة الصينية[1].

(1) Bai Shouyi, «Biographies of Chinese Islamic Scholars» in Collected Works of Bai Shouyi, Kaifeng: Henan University Press, 2008. p406.

أ- البحث عن هوية جديدة لمن تبقى من مينغ؛ يستخدم ما زو علم الأنساب مصدراً للسلطة في إعادة بناء مجتمعات هوي

بعد عودته إلى يونن، دعا ما زو أقرباءه وعددًا من أسر الهويهوي الذين تنتهي أسماؤهم بـ ما (Ma) إلى اجتماع في يونن لجمع سلالة النسب، ولكن في الحقيقة كان قد أنهى عمله بعلم الأنساب، وكان هذا الاجتماع فعليا دعوة لمناقشة نهائية، ووافق جميع المشاركين على القرار: أن أنساب مَن يحملون اسم العائلة ما (《马氏家乘》) أو نسب سيد-ال-آجال-دين مقبولة. وبشكل عام، عندما كان يكتب ما زو كتابه «دليل الإسلام»، كان في الوقت ذاته يعمل على نسب أسرته، ويحاول ربط سيد-ال-آجال-دين مع مجتمعات الهوي في يونن والصين. ويمكن أن نستنتج أنه عندما عاد ما زو إلى يونن بعد أسفاره في المقاطعات والمدن، من عام ١٦٦٩م إلى ١٦٨٧م، لا سيما حياته في بكين ومدينة نانجينغ لسنوات عدة، كان قد أوجد الأصل العام لأنساب مجتمعات الهويهوي.

وبناء على اجتماعه في عام ١٦٨٧م، أرسل علم الأنساب المطبوع لجميع الحضور وأرسل نسخاً عدة لمجتمعات الهويهوي التي لم ترسل ممثليها إلى الاجتماع. وبهذه الطريقة، كانت قد أصبحت روايته للعلاقة بين النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وسيد-ال-آجال-دين ومعظم مجتمعات الهوي في الصين وفي يونن حقيقة أكاديمية، وذلك بسبب كثير من نسخ علم الأنساب التي كانت قد صدرت، وكان عمره حينها سبعة وأربعين عاما.

وكانت أهم الأجزاء في هذا النسب: أولا، رابط النسب بين

النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وثانيا، بين سيد-ال-آجال-دين. وكتب (ما زو) أن النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، كان له جيل تابع، علي، فالحسن. وكان الجيل الحادي والثلاثون من النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، هو سيد-ال-آجال-دين. واستناداً إلى سجل التاريخ من «تاريخ اليوان» (يوان شي، Yuan Shi)، حصل ما زو على وصف مفصل لجميع أبناء سيد-ال-آجال-دين. لكن، منذ الجيل الثامن والثلاثين، سبعة أجيال بعد سيد-ال-آجال-دين، كان قد وصفهم علم الأنساب بفروع ساي هازهي (Sai Hazhi)، وكان قد أخذ أبناؤه ما (Ma) اسمًا للعائلة. وحدد ما زو مجتمعات مختلفة في يونن لتكون سلالة الأبناء الأربعة لساي هايزهي، الذي كان مسؤولاً في أوائل عهد أسرة مينغ.

ووفقاً لشجرة العائلة هذه ينبغي لمعظم الناس إذا كان لقبهم ما (Ma) أن ينحدروا من جيلين من أبناء ساي هازهي، وأن يكونوا موزعين بشكلٍ متساوٍ على مختلف الأماكن في الصين والجبال والمدن في يونن. ومع ذلك، ربطت أمهر التقنيات المستخدمة عند تجميع هذه الأنساب الجد الأكبر-الأكبر لـ ما زو بأحد أبناء ساي هازهي (Sa Hazhi). وتحدث ما زو، في كتاب علم الأنساب الذي ألّفه، عما إذا كان الناس الذين يعيشون في مدن أو قرى معينة، مثل دالي، أو مينغوا، أو يونغتشانغ، أو لينان، يمكن أن يكون كل منهم قد انحدر من أبناء ساي هازهي. ولكن، إذا لم تكن ألقابهم ما (Ma)، فيكونون منحدرين من أبناء سيد-ال-آجال-دين. مثلا، وإذا كانت الألقاب نا (Na)، وشو (Shu) ولا (La) ودينغ (Ding)، فإنهم

يكونون فروع ناصر الدين (Nasiral-Din)، واحد من أبناء سيد-ال-آجال-دين[1].

وخلاصة القول، من الناحية الفنية، بناءً على أصول الأنساب هذه، تستطيع كل أسرة في يونن، أو في الصين، تتبّع شجرة العائلة إلى أسرة سيد-ال-آجال-دين. لذلك، وبعد سنوات، قام باحث هويهوي آخر يدعى ساي يو (Sai Yu)، بعمل مماثل.

أ. ساي يو (Sai Yu) تابعاً لـ ما زو (Ma Zhu)

باتباع المنطق نفسه، شكّل ساي يو شجرة نسب أخرى لعائلته. وقد انحدرت جميع الأسر الملقبة بساي (Sai) من ساي هازهي (Sai Hazhi) أيضا. ونشأ ساي يو في يونن الشرقية من مقاطعة شيبينغ (Shiping). ولم يكن قد جرّب حكم مينغ، كتابع شاب، مثل ما زو؛ فقد كان طالبا كونفوشيا وأصبح عالما في عام ١٧٢٩م، وبعد ذلك، عُين قاضيًا في مقاطعة سيشوان، وقد حاول بناء مدارس ومعابد للطاوية فيها. ولكن أهم حدث في حياته كان عندما عُين أحد طلابه بيان تينجزو (Bian Tingzhuo) مفوض إيرادات الملح لـ ليانغوي (Lianghuai) في عام ١٧٧٩م. وأصبح ساي يو (Sai Yu) صاحب نفوذ بين مسؤولي يونن، وذلك من خلال هذا الاتصال[2]. وبعد ذلك جمع ساي يو روايته لشجرة الأنساب، والتي أظهرت أن أفراد أسرته كانوا أحفاداً لـ سيد-ال-آجال-دين.

(1) The Compiling Committee, The Materials of Zheng He's Family Background, Beijing: People's Transportation Publishing House, 1985. p115.

(2) «Inscription of Sai Yu's Tomb», In Bai Shouyi, Collected Works of Bai Shouyi, Kaifeng: Henan University Press, 2008. P769.

كان سيد-ال-آجال-دين أو ملك زيانيانغ (Xianyang) (شيانيانغ وانغ) (Xianyang Wang) رمزاً مهماً للعلاقات العرقية في يونن، وعيّنه قوبلاي خان حاكماً للمقاطعة، وكان مؤسسا لسياسة الضرائب المتنوعة لمختلف المجموعات العرقية. وكان قادراً على التفاوض مع ملوك فيتنام وبورما، والشيوخ المحليين لقبول إطار الحدود تحت حكم المغول، بناء على خلفيته عن السيمو (Semu). كما أنه بنى أول معبد للكونفوشية في العاصمة، كونمينغ، وإضافة إلى عدة مساجد لأتباعه، بنت حكومة مينغ معبداً رسمياً يعرف باسم معبد ملك زاينيان (Xianyan)، وذلك تقديراً له كممثل رمزي لـ يونن .

بعد إنشاء أسرة الكينغ نظامها الحاكم في يونن بعد الحروب مع الجنرال وو سانغوي، أعادت هذه الأسرة بناء المعبد الرسمي للملك زيانيانغ (Xianyang) في ١٦٨٢م. وكانت إدارة هذا المعبد الرسمي مشتركة بين أسرتين؛ كان لقب إحديهما ما (Ma)؛ والأخرى لقبها ساي (Sai). ومع ذلك، بعد أن ألَّفَ ساي يو شجرة الأنساب لعائلة ساي (Sai)، زعم أن عائلته كانت في الحقيقة السلالة الحقيقية للملك زيانيانغ، وبمساعدة من المسؤولين في المقاطعة، نقلت الحكومة الأسرتين بعيداً، ونقلت حقوق هذا المعبد إلى أسرة ساي يو[1].

كانت هناك حاجة لتحقيق شروط معينة في يونن، قبل أن يتم

(1) «The Sai Surname Genealogy», The Compiling Committee, The Materials of Zheng He's Family Background, Beijing: People's Transportation Publishing House, 1985. P39.

بناء النظام المجتمعي الخيري والتعليم المسجدي لنسج مجتمعات الهوي في شبكة واحدة. ومع مرور الوقت، كان من أهم المشروعات الثقافية بناء علم الأنساب وبناء السلطة الدينية على المجتمعات. من خلال حالة ما زو وساي يو، عرفنا أن مجتمع الهوي ليس في الواقع نظاما بديهياً من دون أي بناء. وكان أصعب جزء في هذا البناء، أو إعادة البناء من الهويهوي، التحوّل من النظام الأسري إلى النظام المجتمعي الخيري.

قدّم العمل الخيري المجتمعي مؤسسة للتعليم، والزواج، وشبكة للتجارة. ولكن، حدث هذا التغيير في القرن السادس عشر، عندما كان التعليم الكنفوشي الخاص قد تطور سابقا. لذلك، حاول المزيد من علماء الهويهوي إعادة توزيع مجتمعاتهم لاتباع نموذج تعليمي كونفوشي؛ وبذلك كان يتمتع ما زو بمكانة اجتماعية عالية جداً بين شعب الهوي، وكان أحد الأسباب هو جهوده لتفسير الإسلام بناء على تعليمه الكنفوشي؛ ما سهّل شرح المفاهيم الإسلامية، وكان ينبغي أن تكون مفهومَةً حتى للطلاب الذين لم يتلقوا التعليم الكافي في اللغة العربية أو الفارسية. وبناء على هذه البنية التحتية الثقافية، كان يمكن تطوير التعليم في المساجد في أوائل عهد أسرة كينغ الحاكمة.

ثمة جانب آخر، كذلك، كان مشروع بناء شجرة الأنساب، حتى يكون تسليط الضوء ممكنا على السلطة الدينية والمجتمعية. ما فعله ما زو جمع بين الأفكار الكنفوشية وأفكار مستعارة من الصوفية. عندما ذكر الهوي فكرة أن يكون كلا من المسلم والكنفوشي معاً،

عُدّ ذلك عاملاً حاسماً لفهم المجتمع الصيني الهوي. وهذا العامل يوفر المصدر الأيديولوجي لما يسمى بالتعليم الديني في المساجد التقليدية. لم يكن هذا التقليد قديما جداً نظراً لأنه أُنشىء من قبل هؤلاء العلماء الكنفوشيين الماهرين، وكان ذلك في زمن التحوّل الامبراطوري من أسرة مينغ إلى كينغ. وكان هناك جانبان مألوفان بالنسبة لهؤلاء العلماء، وهذان الجانبان، هما: الحياة الدينية الإسلامية، والمثال الأخلاقي الكنفوشي الأعلى حول الشخصية، والعائلة، والدولة.

وينبغي أيضا معرفة أنهم قد شعروا في ذلك الوقت ببعض الألم مثل ما زو، وذلك بسبب وعي الانتماء إلى نصب تذكاري لمينغ، أو لكينغ، أو إلى طريقة بديلة، تعود بتاريخ أسرهم كمسلمين هوي. إضافة إلى ذلك، أظهرت عملية تأسيس علم الأنساب لعائلات الهوي، وربطها أولاً بالشهير سيد-ال-آجال-دين، ثم بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، نتيجة اجتماعية خيالية. ومن ثَمَّ كان جميع الناس في هوي أقارب محتملين، وكانت لديهم علاقات محتملة مع الإسلام، في حال أنهم أرادوا الاعتراف بهذا الربط. ولكن كان هذا التأسيس من البداية يرتكز على أيديولوجية ما زو وساي يو (Sai Yu) الكنفوشية، إضافة إلى رأس مالهم الاجتماعي الكنفوشي، كمسؤولين متعلمين كونفوشيين. وبهذه الطريقة، يمكننا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار إمكانية أن يكون عمله وسيلة لبناء بنية تحتية اجتماعية لإنشاء شبكة مستقبلية. وبهذا المعنى، ينبغي ألا نعتبر الهوي -على الأقل في يونن في حدود الصين الجنوبية

الشرقية- ببساطة مسلمين، من دون مراجعة القوة الكنفوشية في بناء هوية الهوي.

عمل العلماء الكنفوشيين كمسؤولين عن صلاح المجتمع:

ركّزت إسهامات ما زو في بناء مجتمع الهوي على ثلاثة جوانب: أولاً، جهوده في تفسير الإسلام باستخدام المبادئ الكونفوشية؛ ثانيا، دراسته لتاريخ الهويهوي (Huihui) وتجميع علم الأنساب الذي ربط مجتمع الهوي بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم[1]، لتطوير صورة لـ «عائلة هوي»، كما تم بناء سلطته الشخصية في إصلاح منظمات المجتمع والتعليم. أما الجانب الثالث من إسهاماته، فهو جهده لبناء بعض المبادئ الأساسية للأعمال الخيرية المجتمعية كمؤسسة اجتماعية، والتي هي آلية حاسمة لتحويل الهويهوي من أساس الأسرة إلى هوي المبنية على الأساس المجتمعي. وتعني هويهوي (Huihui) هنا المسلم من الطراز القديم، الذي اتبع تقاليد عائلية موروثة من المعتقد الديني ودراسة القرآن، أو المسلم الذي تعلَّمَ العربية والفارسية قبل تأسيس التعليم المسجدي. وكان جهد ما زو قوة تشكيلية مهمة لإصلاح عقيدة الهوي الإسلامية وممارستهم المرتكزة على المجتمعات. وقبل بناء الجمعية الخيرية المجتمعية، لم يكن هناك أي مصدر مجتمعي لدعم التعليم المسجدي. وخلال تلك الفترة، كانت بعض الأسر القوية مسيطرة على الموارد الدينية، وكان الهويهوي مبعثرين في أماكن مختلفة؛ لذلك، لم يكن توحيدهم

(١) وهذا ادعاء غير صحيح. (الناشر).

سهلا من دون آلية اجتماعية وثقافية.

وبعد أن أنشأ ما زو هذه التغييرات، أصبحت شبكة الهوي ممكنة، وبخاصة شبكة التعليم المسجدي. وباختصار، ينبغي على كل هذه الإصلاحات أن تستند إلى تفسير شامل للإسلام. ويمكننا الاستنتاج بأن ما فعله ما زو، والكثير من علماء الهوي الصينيين الذين اتبعوه أو تعاونوا معه، كان شرح الإسلام بناء على تعاليم الكنفوشية. وكانت تفاسيرهم تعني أنه يُمكن للناس العاديين أن يفهموا الأفكار الدينية من دون الحاجة إلى اللغة العربية أو الفارسية في هذا السياق الصيني.

التغيير الجذري في حياة ما زو، من تابع لمحكمة مينغ للاجئين في بورما، إلى حياة العزلة في قرى مختلفة، ومدّرس في الريف، دفعه إلى التفكير في معنى القدَر. كان يعتقد بأنه «لا منزل كاملاً ولا شعباً كاملاً، إذا كانت مقاطعتك غير كاملة». وبناء على ما كان قد تعلّمه من الأفكار الكنفوشية[1]، لم يستطع ممارسة مثله الأعلى الاجتماعي أكثر من ذلك لخدمة الدولة. وكان سبب محاولته لدراسة الدين الإسلامي البحث عن مصادر تفسيرية للمقصود من زين (Xin) (الطبيعة، 性)، مينغ (fate، القدر، 命)، والحياة والموت. ومن ثم قسّم العالم إلى قسمين: الأول هو «قبل الحياة وبعدها»، والثاني هو «الحياة». وعرّف الطرفين، البداية والنهاية، كالجزء من شي وزو (Shi and Zu)، وفي الوقت نفسه عرّف جزءا من الحياة كالوسط، زونغ (Zhong). وأوضح أنه «يدرس

(1) Ma Zhu, The Guide of Islam, «Preface», Yinchuan, Ningxia People's Publishing House, P24.

الكنفوشيون الوسط فقط، بدلاً من البداية والنهاية (言第者儒卒始而不言，中其)»[1].

ولم يعتقد علماء الكنفوشية أن هناك تنافيًا بين المُثل العليا للإسلام والكنفوشية، ومن هؤلاء العلماء ليو زي (Liu Zhi) وعلماء كونفوشيون آخرون درسوا الإسلام في الصين. ومن خلال تفسير هؤلاء العلماء، يمكن أن تتطابَق الأفكار الإسلامية عن الدين مع الأجزاء التي لم تتطرق إليها النصوص الكلاسيكية الكنفوشية؛ نظراً لأن الكونفوشية والإسلام يتعاملان مع قضايا مرتبطة بالحياة وما بعد الحياة. ولذلك، أوضح ما زو أنه «يمكن للعالم أن يوجد لنفسه» العالم الذي يعتمد على هذين القطبين؛ ويستند هذان القطبان على القطب الأساسي، تاي جي (Taiji). لكن تاي جي أيضًا يستند إلى «اللا قطب» （无极）، أي الحق （真一）». وهذا التفسير مماثل للطاوية، ولكن ما زو وضع المناقشات الكنفوشية على المبدأ والتماسك في إطار تيان (Tian) (السماء، 天)، لتقسيم الدين والأفكار الكنفوشية عن الأخلاق الاجتماعية إلى جزءين من الحياة البشرية.

وكانت فكرة السماء المصطلح الرئيس المستخدم من الكنفوشيين الصينيين لفهم الإسلام، لأنه، كما قال كونفوشيوس، «القدر يأتي من السماء»، لكنه «حافظ على مسافة إلى العالم الخارق». ولذلك، يستخدم علماء الكنفوشية الصينية مصطلح السماء لتفسير الإسلام، وهو دين من السماء. وبناء على ذلك،

(1) Ma Zhu, The Guide of Islam, «Preface», Yinchuan, Ningxia People's Publishing House, P6.

فسرت البلدان العربية على أنها اتجاه السماء (تيان فانغ) (Tiang Fang)، وفُسرت الكعبة على أنها «منزل السماء» (تيان فانغ (天房 Tiang Fang))[١] [٢]، ودعا ما زو دارسي الإسلام وكذلك دارسي الكنفوشية في بلاده إلى الاطلاع على ثقافة الآخر»[٣].

بعد عودته من بكين، كانت مهمته الأولى إصدار أنساب سيد-ال-آجال-الدين ومن ثم مراجعة كتاب «دليل الإسلام» ونشره. كان له تفاعل وثيق مع مسؤولي يونن في كونمينغ (Kunming) وفي محافظات مختلفة، كما دُعي للتدريس في مختلف مجتمعات الهوي. وفي بعض الأحيان، كان يعود إلى ودينغ (Wuding) وفي أحيان أخرى يدرّس في يشوان (Sichuan). على الرغم من ذلك، كانت سلطته ثابتة، بناء على مشروع شجرة الأنساب وكتابه عن الإسلام. وكان هدفه في الواقع تغيير الممارسات الدينية في مجتمعات الهوي في يونن.

في عام ١٧١٠م شارك ما زو في قضية قالندارس (Qalandars) في ودينغ، وطلب من مسؤولي يونن أن يحظروا تدريس الدين بطريقة مغايرة للعُرف، والذي كان من الممكن أن يُربط بالطاوية المحلية وطقوس اللوتس الأبيض (White Lotus Rituals)، وممارسات قالندارس (Qalandars). كان المؤمنون من هذه الطائفة مشتتين

(١) لمناقشات عن المفهوم الإسلامي للسماء، انظر أيضاً:
Wang Jianping, "The Concept of Sky in Ma Dexin's Works and the Relationship between Islam and Confucian", in A String of Pearls: on Relations between Islam and China, Yinchuan: Ningxia People's Publishing House, 2007. Pp189-204. See also "Zhang Xin", in Bai Shouyi edited, The Biographies of Famous Hui in Ming Dynasty, Yinchuan: Ningxia People's Publishing House, 1988, p123..

(٢) والصحيح أن الكعبة هي أول بيت وضع للناس في الأرض لعبادة الله. (الناشر).

(3) Ma Zhu, The Guide of Islam, Yinchuan, Ningxia People's Publishing House, p369.

في قرى مختلفة تقريبا في جميع المناطق في يونن. أحب المؤمنون أن يستخدموا المخدرات لينوّموا أنفسهم ويكتبوا الخطابات ويضعوا هذه الأوراق في المقابر القديمة كالسحر، وارتدوا بدلات طقوس الطاوية، ولذلك حدّد ما زو هذه الطائفة بأنها طائفة مبتدعه وليست مسلمة، ولكن كان هؤلاء المؤمنون ناشطين في المساجد. ويشير وانغ جيان بينغ (Wang Jianping) إلى أنه كانت هذه الحالة الدينية تستند إلى تقاليد قالندارس، أصلاً من الهند، والمبادئ الصوفية[١]. لكن وفقا لوصف ما زو، تطورت هذه الطاوية والطائفة الإسلامية المجتمعية من دالي (Dali)، ومارس الأتباع أيضا بعض الطقوس التي اتبعت التقاليد البوذية وطقوس اللوتس الأبيض (White Lotus Traditions)[٢].

فإذا ما استعرضنا السياق التاريخي في هذه الفترة من أواخر فترة حكم مينغ إلى حكومة كينغ المبكرة، كانت هذه الفترة فترة ابتكار ديني سريع. كان جبل جيزو في منطقة دالي آنذاك مركزاً للديانة السائدة وطائفة اللوتس البيضاء. كذلك كانت حالة ودينغ كما أفاد ما زو، مشابهة لحالات أخرى محلية من الابتكار الديني في عملية التحوّل التاريخي[٣].

وعلى أي حال، فقد حظرت حكومة مقاطعة يونن بسرعة هذه الطائفة المبتدعة والمغايرة للعُرف، وفقا لطلب ما زو. وبعد ذلك

(1) Wang Jianping, Concord and Conflict: The Hui Communities of Yunnan Society in a Historical Perspective, Lund: Studentlitteratur, 1996, pp181-194.

(2) Ma Zhu, The Guide of Islam, Yinchuan, Ningxia People's Publishing House, p419.

(3) See also Ma Jianxiong, «Shaping of the Yunnan-Burma frontier by secret societies since the end of the 17th century», Moussons n° 17, 2011-1, 65-84.

أدرك ما زو أن بناء نظام مجتمعي للتعليم الديني هو طريق أساسي لحل هذه المشاكل. في وقت لاحق، ابتكر قائمة تسمى بـ «الوصايا العشر» كمبادئ للممارسات الإسلامية المجتمعية، وبهذا المشروع الجديد أصبح ما زو مؤسسا للتنظيم المجتمعي لـ هوي في التاريخ.

الوصايا العشر للحياة الجماعية:

١. دراسة المعرفة الدينية في الإسلام، إذ ينبغي أن يدرس طلاب الكونفوشية الإسلام، كما ينبغي للنساء أيضا متابعة الرجال في دراستهم الدينية.

٢. اختيار زعيم ديني للمجتمع، وينبغي أن يستند معيار اختيار الزعيم الديني إلى الأخلاق الكونفوشية.

٣. اتباع الممارسات الإسلامية، ويجب على الجميع أداء صلاة الجمعة على الأقل.

٤. مساعدة بعضهم بعضًا في الطقوس والمهرجانات في المجتمع، وينبغي على الجميع المشاركة في الشؤون المجتمعية، مثل: الأعراس والجنائز، ودفع ضريبة دينية للمسجد أو صندوق جماعي. ويجب تسجّيل جميع الممتلكات المجتمعية.

٥. إعادة تنظيم الأملاك المجتمعية تحت اسم المسجد، وهو وسيلة لبناء المؤسسات الخيرية، فمن خلالها يمكن للناس أن يتبرعوا بالأرض الزراعية والثروات للمؤسسة الخيرية.

ويمكن للمجتمع أن يستخدم هذه المؤسسة للقيام بما يأتي:

أ- دعوة مُدرسي الإسلام ودعمهم من أجل تعليم الإسلام في

المساجد (القاعة).

ب- دعم الطلاب الذين يدرسون في المسجد (القاعة).

ج- استقبال مسافري الهوي القادمين من مناطق بعيدة، وإطعام الفقراء في المجتمع المحلي.

٦. معاملة الضيوف المسافرين والقادمين من مناطق بعيدة بطريقة ودية. إذ إن يونن منطقة جبلية في الصين، ويواجه مسافرو الهوي صعوبة بالغة فيها؛ لذلك تكون مهمة إمام المسجد زانججياو (Zhangjiao) هي ترتيب المُضيفين لاستقبال الضيوف الزائرين. وينبغي أن تكون مجانية، وينبغي أن تقدّم لهم على الأقل ثلاثة أيام للعلاج المجاني.

٧. عاملوا معلمي الدين بطريقة ودودة، وينبغي دعوة الإمام من الأسر المداومة في اللجنة زيانجلاو (Xianglao) لمساعدتهم على اتخاذ قرارهم حول راتب المعلم. ويجب على جميع المدرسين المدعوين للمجتمع أن يتبعوا مبادئ المدرسة الكونفوشية المحلية الخاصة روجوان (Ruguan)، لتوفير الأرز، والزيت، والملح، واحتياجات الحياة اليومية، والمرتب السنوي، وذلك حتى يكون جيل الشباب معداً إعداداً جيداً.

٨. أرسلوا الأطفال إلى المدرسة الكونفوشية أو مدرسة المسجد. وإذا تم تجاهل المثالية الكونفوشية، لن يفهم الأطفال كيفية تنمية أنفسهم وإدارة الأسرة، والعمل للدولة (زيو، كي، زي، بينغ، Xiu، Qi، Zhi، Ping) (修、齐、治、平). وإذا كان الأمر كذلك، فستفقد الأسرة كل شيء في السلطة السياسية

وفي الدين على حد سواء.

٩. حافظوا على الوجبات الشرعية. ويجب تناول الطعام الإسلامي الحلال.

١٠. اتعظوا من الجنازات. وينبغي احترام الأخلاق الأسرية، مثل العصبة -الُثلاثية وأخلاق الألوان الخمسة 三) (five-Lun 伦五 、纲)، ويجب احترام العلاقات بين الأطفال والأهل والأزواج والزوجات[1].

في نهاية هذه الوصايا، كتب ما زو: «مَن أنا، الذي يجرؤ على تعليم الناس هذه الوصايا؟» من أجل حماية الدين عن طريق استبعاد السلوك الخارج عن الملّة؛ كان هذا الإجراء الممكن الوحيد، وإلا، لا يمكن للإسلام أن يكون متطورا. ومع ذلك، كما يؤكد ما زو في بداية دليله على الإسلام، «أنا المنحدر من سلالة النبي، صلى الله عليه وسلم»!

مخطوطات ما زو عن مبدأ بناء المؤسسات الخيرية المجتمعية هي قانون أساسي آخر لإعادة بناء مجتمع الهوي في يونن على أساس نظام التنقل لمسافات طويلة، ومجتمعات منفصلة بشكل خطير على حدود وعرة في أوائل عهد أسرة كينغ. إذا ما استعرضنا الحالة الراهنة، فسنجد أن معظم هذه المبادئ تُمارس كتقاليد محلية، مثل المؤسسة الخيرية التي تعتمد على المسجد، وطقوس الأعراس والجنائز، وأسلوب المعاملة الذي يعده الأئمة، وأسلوب

(1) Ma Zhu, The Guide of Islam, Yinchuan, Ningxia People's Publishing House, pp.428-437.

الدعوة لمعلم مجتمعي، ودعم الطلاب الذين يدرسون في المسجد وغيره.

كانت هذه المبادئ تشكل القواعد الأساسية لبناء مجتمع الهوي والحفاظ على شبكاتها. ولكن ما هو غير مألوف لمعظم شعب الهوي هنا أنها ليست تقاليد طويلة الأمد على الإطلاق؛ فبناء على تلك المخطوطات، عرفنا أن بناء المؤسسة الخيرية على أساس المسجد تم في عهد ما زو، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار هذا النظام كمجموعة من المبادئ التنظيمية الاجتماعية. إذا كان كذلك، ينبغي لنا أن نستعرض تفاصيل نظام المؤسسة الخيرية هذه، وآلية عملها.

بناء الشبكات والمجتمع بالاعتماد على الأعمال الخيرية

وُضع نظام الدعم الجماعي قبل ما زو، ولكن خلال فترة ما زو، أصبح هذا النظام بأكمله أساسا للشبكات والتعليم المسجدي. وكمؤسسة اجتماعية رئيسة، أعادت هذه الآلية، وإلى حدٍّ كبير، تشكيل التركيبة الاجتماعية وهوية شعب الهوي في يونن؛ لذلك، من الضروري عمل مراجعة تاريخية لتطور الأعمال الخيرية.

بحسب ملاحظات ترحال زو زياكي (The Travel Notes of Xu Xiake)، عندما وصل زي زياكي (Xe Xiake) إلى دالي في عام ١٦٣٩، كان هنالك مسجد في المدينة قد بُني من أسرة مسلمة لقبها شا (Sha) جاومين شا، (Jiaomen Sha). وذكر زو (Xu) أيضا أن

السكان المحليون أطلقوا عليه قاعة الهويهوي (Huihui Tang)[1]، ومن الممكن أن يكون سيد-ال-آجال-دين قد بنى أقدم مسجد في يونن قبل عهد مينغ، في كونمينغ. وذكر ما زو أيضا أنه في كثير من المجتمعات، كانت بعض الأسر القوية تسيطر على المساجد، وأنهم كانوا يعدون المسجد مكانهم الخاص. وفي مثل هذه الحالة، لا يمكن اعتبار أن قاعة هويهوي في سياق أسرة جياومين الإسلامية مسجد جماعي بحسب مبادئ الملكية المشتركة.

في عام ١٦٣٩ زار «زو» دالي، ولكن حتى فترة ما زو في العقد الأول للقرن الثامن عشر، وعلى امتداد سبعين عاماً، سيطرت الأسر الدينية القوية على المساجد الجماعية بدلاً من القاعات الإسلامية، ولم تكن الجمعيات الخيرية ثابتة التأسيس وفقا لهذه الوثائق.

بعد فترة حكم كانغسكي (Kangxi)، بُنيت مساجد كثيرة بهبات جماعية، وأظهرت المخطوطات أن الأملاك الجماعية المشتركة أُنشئت أيضا للدعم الخيري. وفي عام ١٧٧٦، وعندما أعاد مجتمع الهوي بناء مسجدهم الجماعي، دفع القرويون التكاليف، ووضعوا نقشاً حجرياً في المبنى لتوثيق هذا الحدث، نصه:

«كان المسجد في قريتنا قديما جدا بالفعل. وعليه الآن قيود للاستعمال الجماعي، وقد تبرع جميع أفراد قريتنا بالمال أو العمل لإعادة بنائه، وأخيراً نجحنا في هذا المشروع. كانت إعادة بناء هذا المسجد هدفاً طويل الأجل لمجتمعنا. وفي عام ١٦٤٢، خطط

(1) The Travel Notes of Xu Xiake, Kunming: Yunnan People's Publishing House, 1985, p995.

إمام المسجد ما مينغتاي (Ma Mingtai) وبعض كبار السن لإعادة بنائه، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك. ومنذ ذلك الوقت، تم إصلاح المبنى مرات عدة، ولكن الآن فقط يمكن أن نسجل الأراضي الزراعية الممنوحة على أنها أوقافٌ كالتالي...»[1].

دُمرت هذه القرية واختفت أثناء تمرد بانتاي (Panthay) من ١٨٥٦-١٨٧٣، وهذه أيضا مسألة أخرى حرّكت هوية الهوي في يونن[2]، فمن النقش أعلاه، نعلم أن القرويين تبرعوا بالأراضي الزراعية للمسجد، كدعم خيري في ١٧٧٠s. ولكن، قبل ذلك، كان من الممكن إيجاد بعض المخطوطات التي تتحدث عن أسلوب الأعمال الخيرية تحت اسم المسجد المجتمعي. وحدث تغيير تاريخي بعد وفاة ما زو، لا سيما خلال الفترة من ١٧١٠ - ١٨١٠م. كان قد حان الوقت لإعادة بناء أوقاف المساجد كأعمال خيرية، فضلا عن تأسيس التعليم المسجدي. ومنذ ذلك الحين، أظهرت سجلات كثيرة أن مجتمعات الهوي وشبكاتهم تطورت بسرعة في يونن.

في الحالة المذكورة آنفاً، كانت تكلفة الشخص لإعادة بناء المسجد هي ٣٠٠ ليانغ فضة (نحو ٤٨٠ أوقية). ولكن أحد القرويين تبرع بـ ١٠٠ ليانغ، وهذا تقريبا ثلث التكلفة الإجمالية للمسجد. أما ما تبقى من التكلفة، فقد قام الأفراد بالتبرع بعدة ليانغات من الفضة. إضافة إلى ذلك، كان هناك أكثر من ٢٠ مو (Mu)

(1) «The Inscription of the Huzui Village in Dali», in Dali Hui Study Association Edited., This History of the Hui in Dali, Kunming: Yunnan Nationalities Publishing House, 2009. P265.

(2) David G. Atwill, The Chinese Sultanate: Islam, Ethnicity and the Panthay Rebellion in Southwest China, 1856-1873. Stanford: Stanford University Press, 2005.

(نحو ٣,٣ فدان) وَقْفاً للمسجد، كملكية مشتركة، وسُجلت باسم تشانجزو تيان (Changzhu Tian). وهذا هو المصطلح نفسه الذي استخدمه البوذيون في وصف ملكيته. ولذلك، نستطيع القول إن الأراضي الزراعية التي تم التبرع بها كأوقاف من القرويين هي أعمال فضيلة خاصة بملكية المسجد. وعلى الرغم من أننا لا نعرف كثيرًا عن أكبر المانحين، فإذا لم يكن مسؤولاً كبيرًا وذا منصب، فمن الممكن أن يكون رجل أعمال ثري.

وقد بيّن نقش آخر في قرية مامي تشانغ (Mami Chang) في ويشان (Weishan)، والتي لا تبعد كثيرا عن القرية المذكورة أعلاه، أنه خلال هذه الفترة، كانت قد تمددت الشبكة المجتمعية بالفعل، إلى أن وصلت إلى حقول المناجم. وقد ذهب عدد كبير من القرويين للعمل في حقول مناجم الفضة المطوّرة حديثاً في يونن- على حدود بورما.

«القيام بالأعمال الخيرية يقوم على الأموال المتبرع بها والأراضي الزراعية، وعادة يقوم إمام المسجد بالدعوة للتبرع أو العمل الخيري، من أجل تثقيف الناس ودعم الطلبة. القرويون في مامي تشانغ، وقد اتبعوا مبادئ الإسلام لأجيال عدة. وتم بناء المسجد القديم في عام ١٦٧٩م واستُخدم حتى عام ١٧٥١م، إذ لم يعد في الإمكان استعماله أكثر من ذلك، فأراد جميع الأقارب إعادة بنائه؛ فبدأوا بالتبرع بالمال والأراضي الزراعية للمسجد. في عام ١٧٨٦، أعدنا بناء المسجد. وكلف ١١٠٠ ليانغ فضة للمشروع بأكمله، بما في ذلك إعادة بناء قاعة الخدمة ومئذنتين. ولم تأتِ التبرعات من الأقارب من أهل القرية فقط، بل من الأقارب في

جبال لازي أيضا، ومناجم زي يي. إذ تبرع الأقارب بـ ٢٦,٦ ليانغ فضة، وتبرع الآخرون بمال وأراضٍ جعلت وقفاً للمسجد»[١].

قد وجدنا من خلال هذه المخطوطات أنه على الأقل في الـ ١٧٨٠-١٧٨٩م، كانت مجتمعات الهوي قد امتدت إلى حدود بورما. وكان النجم زي يي (Xiyi) في المنطقة الخاضعة لسيطرة زعماء وشيوخ تاي (Tai)، في غنغما (Gengma)، التي تقع على الحدود، لوجود الحروب من عام ١٧٦٦م إلى عام ١٧٦٩م، وأنه تم استغلال منجم زيبى بعد عشر سنوات فقط. وفي السنة نفسها، كان القرويون من الهوي الذين جاؤوا من مامي تشانغ (Mami Chang) للعمل في منجم زي يي قادرين على إرسال الأموال مرة أخرى لإعادة بناء مسجدهم الفاخر، والذي كلف ١١٠٠ ليانغ فضة[٢].

وعندما ازدادت أعداد المجتمعات التي أنشأت أوقافاً لمساجدها، نما الدعم الخيري تدريجياً، وكان الغرض الرئيس من العمل الخيري المجتمعي الحفاظ على نظام التعليم المسجدي والشؤون المجتمعية، فضلا عن كونها وحدة جماعية يتم من خلالها دفع الضرائب وتكاليف الخدمات الرسمية.

أ- أوقاف المسجد بوصفها عملاً خيرياً للشؤون المجتمعية

تشير المخطوطات التاريخية إلى أن الجمعيات الخيرية المجتمعية المبنية على أوقاف المسجد كانت قد أُنشئت في

(1) «Inscription of Mosque Property at Mami Chang», in Chen Leji Edited, The Selective Archives of Hui Mosques in South China, Guiyang: Guizhou Nationalities Publishing House, 2004. P327.

(2) «The Xiyi Mine», in Dang Meng Edited, The (Guangxu) Gazetteer of Shunning Prefecture, Hong Kong: Tianma Publishing Company, 2001. P251.

مجتمعات الهوي قبل العقد الأخير من القرن الثامن عشر بفترة. وقد عمل الدعم الخيري المجتمعي بطرق مختلفة؛ ولكن القاعدة العامة لهذا النظام قامت على مبادئ ما زو. أما على المستوى المجتمعي، فقد عمل الدعم الخيري كقاعدة مهمة للتنظيم الاجتماعي، وبناء الهوية مع ارتباطها بالممارسات الإسلامية والأخلاق الكونفوشية، والتي طُبقت أيضا كما أراد ما زو. ولكن ينبغي أن ندرك أن العصر الاقتصادي الذهبي امتد من ١٧١٠ إلى ١٨١٠م مبنياً بشكل متزايد على تطوير صناعة المناجم في يونن؛ وفي الوقت نفسه، ازداد عدد السكان الصينيين بسرعة، بسبب التغييرات في سياسة الضرائب الرسمية.

وفي قرية ناجية ينغ (Najia Ying)، يبين أحد النقوش عمل الدعم الخيري، والطريقة التي تم بناؤه بها. وفي عام ١٧٩٩، عندما تم عمل النقش، ادّعى القرويون هنا أيضا أنهم كانوا قد انحدروا من سلالة النبي، صلى الله عليه وسلم، ومن سلالة سيد-ال-آجال-دين، مثل غيرها من مجتمعات الهوي. ويمكننا استنتاج ذلك لأنهم اتبعوا الأنساب التي وضعها ما زو. وهذه الحالات المختلفة حول تتبع السلالات تبعت ما كان قد ادعاه زي هي (Zhe He). ويقول النقش الموجود على قبر ما هزهي (Ma Hezhi)، والد زنغ هي (Zheng He)، أنهم انحدروا من مسؤول في يوان، بيان (Baiyan)، ولكنه لم يذكر سيد-ال-آجال-دين أو أي شخص آخر في ١٤٠٥ [1].

(1) «The Tomb Inscription of Ma Gong», in The Compiling Committee, The Materials of Zheng He's Family Background, Beijing: People's Transportation Publishing House, 1985, p1.

ولكن ادعاء علاقة النسب مع النبي، صلى الله عليه وسلم، كان قد أصبح شائعا بعد مشروع ما زو لجمع الأنساب، حتى في النقوش الموجودة في القرى مثل مامي شانغ (Mami Chang) وناجية ينغ (Najia Ying) في غربي ووسط يونن؛ إذ ادعى الناس ارتباطهم المقدس بالنبي، صلى الله عليه وسلم. وفي النص الخاص ببناء أوقاف المساجد، يؤكد أن العنصر الأساس من أوقاف المسجد هي الأراضي الزراعية. وقد تبرع الناس بأراضيهم الزراعية لمسجد القرية، ولكن كان من الطبيعي أن يتبع ذلك الضرائب الثابتة. على سبيل المثال، كانت هناك قطعة أرض لمسجد، مع ضريبتها الثابتة ثلاثة شنغات (نحو ١,٥ كجم) من الحبوب. وفي عام ١٧٢٥، اشترى المسجد قطعة أرض من الإخوة نا شينجيان (Na Chengjian). وكان ينبغي لدخلها المقدر بـ ٥ شنغات من ضريبة الحبوب من إيجار المزرعة أن يغطي تكلفة مهرجان جماعي في ذكرى وفاة السيد تشاي (Master Cai)؛ وفي عام ١٧٣٥، تبرع نا كون (Na Cun) بقطعة أرض للمسجد، وكان ينبغي أن يغطي دخلها تكاليف زيت المصباح؛ وفي عام ١٧٥٠، تبرعت عائلة نا دازنج (Na Dazhang) بقطعة أرض مع ضريبتها الثابتة من الحبوب بقيمة ثمانية شنغات؛ وقد تبرعت امرأة بقطعة من الأرض للمسجد.

وبالتدريج تزايدت أملاك المسجد، ومع مرور الوقت، تم استخدام المزيد من الدخل من هذه الأوقاف لعقد المزيد من المهرجانات الجماعية، وللنفقات العامة، حتى لحفر قناة ري

جديدة لأراضي القرويين الزراعية، وغيرها[1]. وفي عام ١٨٦١، تطوّرت أوقاف المسجد، وأصبح لها نظام قوي، إذ صُنفت الأراضي على النحو الآتي: «أراضٍ للتعليم (Jingguan)، جنجوان، وأراضٍ لعيد الأنبياء؛ وأراضٍ لزيت المصباح؛ وأراضٍ خاصة للضرائب؛ وأراضٍ لخدمات موفا (Mufa) الرسمية» وغير ذلك. والآن، أُعطي اسم جديد لأوقاف المسجد: العناصر المشتركة (Gongxian)[2]، وفي هذا الوقت استخدمت كلمة غونغزيان (Gongxian) كمصطلح محدد لأوقاف المسجد. وكان قد شُيّد نظام خيري لشؤون المجتمع والشبكات بشكل جيد.

لم يقتصر استخدام الموارد المشتركة على التعليم والشؤون المجتمعية فقط، بل للمهام الرسمية كذلك؛ لذلك، وفّرت العناصر المشتركة للمجتمع درعا سياسيا، بكونها مؤسسة مجتمعية، لإدارة العلاقة مع الدولة؛ إذا كان المسجد يتولى مهاماً مثل ضريبة الزراعة والخدمات الرسمية؛ فيكون القرويون أحرارا لعمل ما يشاءون. وكانت النتيجة أن المزيد من الناس أرادوا أن يتبرعوا بأراضيهم الزراعية للمسجد، وأصبحت العناصر المشتركة تتعامل مع المسؤولين. لذلك تركوا العمل في مثل هذه الشؤون للتركيز على شؤونهم الخاصة؛ كالسفر أو دراسة الإسلام، أو جناية الأموال في حقول المناجم. لذلك، قدم العمل الخيري مؤسسة اجتماعية

(1) «The Inscription on the Huojia at Bingju Mosque», in Chen Leji Edited, The Selective Archives of Hui Mosques in South China, Guiyang: Guizhou Nationalities Publishing House, 2004, p304.

(2) «The Inscription on the Huojia at Bingju Mosque», in Chen Leji Edited, The Selective Archives of Hui Mosques in South China, Guiyang: Guizhou Nationalities Publishing House, 2004, pp306-307.

جديدة للتنظيم المجتمعي في الهوي، وبعض الحرية للتحرر من أراضيهم الزراعية، عندما يكونون بحاجة إلى مواجهة الدولة.

في الوقت نفسه، أصبحت العلاقة بين الأسر والمجتمع وشبكاتها الخارجية أقوى منها في وقت ما زو. وكان لمبادئ ما زو الأساسية نتيجة اجتماعية أخرى، فاقت توقعاته: وبحسب العناصر المشتركة، كان ممكنا للمزيد من الناس في هوي أن يتحرروا من الزراعة، ليصبحوا تجاراً دوليين، أو يتمكنوا من العمل في المناجم المستغلة حديثا في الجبال على الحدود. ولكن علاقتهم مع المجتمع أصبحت أوثق، كما أصبح الترابط بين المجتمعات أقوى من ذي قبل.

أسلوب قرية ناجية ينغ (Najia Ying) لم يكن الحالة الوحيدة، ففي مقاطعة بينجشوان (Bingchuan) في محافظة دالي، بيّنت هذه الحالة كيف أن إنشاء أوقاف للمسجد يمكن أن تتشكل بسبب حاجة أو رغبة مشتركة للتعامل مع المسؤولين. وفي السنة الثالثة من عهد جياكينج (Jiaqing) (١٧٩٨)، نفذ المسؤولون نظاما جديدا لتسجيل الأسر، نظام هوجيا (Huojia)، وهذا النظام كان شبيها بنظام بوجيا (Baojia)، الذي كان متبعا في عدد من المقاطعات في أواخر حكم مينغ. سيطر رئيس من زيانغ (Xiang) أو رئيس من باو (Bao) على اثنين من رؤساء جيا (Jia) في بلدة بينغجو (Bingju)، وكان هناك خمسمائة أسرة في هذه المدينة عندئذ. وتم تسجيل الأسر كأسر نارية هوهو (Huohu) تحت الجيا (the Jia). ولكن من بين هذه الأسر الخمسمائة كان عشرها فقط من الهوي (Hui).

لم تكن هناك فرصة للهوي في أن يتم اختيارهم رؤساء الزيانغ (Xiang) أو رؤساء باو (Bao)، لكن كان يمكن أن يكون لهم زعيمٌ من جيا (Jia)، والهوي هنا أصبحوا منظمة جيا (Jia)، وقد تبرع رجل عجوز بممتلكاته للمسجد، داعيا بذلك لتقديم المزيد من التبرعات. وعندما أصبحت للمسجد أوقافٌ كثيرة، تمكّن من دفع جميع الرسوم الرسمية والضرائب من دخل تلك الأوقاف، ولذلك قام قرويو الهوي بوضع كل عناصرهم المشتركة تحت اسم المسجد. بهذه الطريقة كان دور المسجد هو مسؤول جيا (Jia) للهوي. وكان مبدأ العناصر المشتركة حتى عام ١٨٣٥ مقبولا بشكل جيد، وتبعه أعضاء في هذا المسجد[١].

إضافة للشؤون المشتركة، عملت العناصر المشتركة كعمل خيري مبني على أوقاف المسجد، وعملت أيضا كمنظمة سياسية جماعية لمساعدة أعضائها على التعامل مع المهام الرسمية، والضرائب، والخدمات. لذلك أصبحت منظمة سياسية ذات قاعدة شعبية للهوي. وبعبارة أخرى، إذا ما عرّفنا الهوي كهوية عرقية في يونن، فإن نظام العناصر المشتركة قاعدتها الأساسية. وكانت العناصر المشتركة نظاماً خيرياً مبنياً على أوقاف المسجد، وكانت لها لجنة إدارية عملت وسيطاً بين الأسر الفردية والدولة، أو بين قرية وأخرى من قرى الهوي في الشبكة نفسها.

عندما تبرّع المزيد من الناس بثرواتهم وأراضيهم الزراعية

(1) «The Inscription on the Huojia at Bingju Mosque», in Chen Leji Edited, The Selective Archives of Hui Mosques in South China, Guiyang: Guizhou Nationalities Publishing House, 2004, pp306-307.

للمسجد، كانوا يتحررون من الدولة إلى حدٍّ ما من ناحية، ومن ناحية أخرى، يعثرون على فرص أخرى ليكونوا رجال أعمال أو طلابًا، والتي كانت مرتكزة على شبكة المسجد. إضافة إلى ذلك، إذا ما اعتبرنا العناصر المشتركة مؤسسة خيرية، فقد أصبح المسجد المجتمعي مدرسة مجانية للطلاب القادمين من أماكن مختلفة؛ وكرجال الأعمال، وجد الطلاب أن تجاربهم الدراسية شملت تجربة العيش في مجتمع آخر، وكذلك مواعدة أزواج المستقبل هناك، وعمل شبكات من الصداقة مع زملائهم. وكانوا أحرارا؛ لأن الجمعية الخيرية دفعت التكاليف عنهم. وبشكل عام، كانت المؤسسة الخيرية للتعليم لجميع شعب الهوي التابعين لهذه الشبكة، وكان التعليم المسجدي الركيزة الأساس التي استخدمت في تأسيس هذه الشبكة.

ب- تطوير نظام التعليم المسجدي القائم على الأعمال الخيرية

حالما أصبح نظام العناصر المشتركة (Common Items) مؤسسة اجتماعية، وكانت تُمارس من قبل المساجد المجتمعية، كان جوهر هذه المؤسسة التعليم المسجدي جين تانغ جايو (Jingtan Jiaoyu). وشمل تعليم المسجد نظام دعوة معلمين للإسلام بناء على عقود ونظام لدعم الطلاب، إذ يمكن أن يتنقل المعلمون والطلاب بين المجتمعات.

كان المعلمون المشهورون يعملون في مكان واحد لسنوات عدة؛

ويكون العقد الواحد، عادة، لمدة ثلاث سنوات، وفي الوقت نفسه، لم يكن الطلاب يدفعون رسوماً دراسية، وكانت نفقاتهم المعيشية مدفوعة من المؤسسة الخيرية. وبهذه الطريقة، يمكن للشباب السفر إلى مختلف المجتمعات بحثاً عن معلميهم المفضلين أو أماكنهم المفضلة.

طُور التعليم المسجدي خلال الفترة من ١٧١٠ إلى ١٨١٠، وكان مؤسس التعليم المسجدي دينغزهو (Hu Dengzhou 1522-1597)، الذي أخذ أصلا فكرة المدارس الكونفوشية الخاصة لتعليم الطلاب؛ ولكن في عصره، كان تعليم الإسلام ما يزال في المدارس الخاصة. طور هو (Hu) حقيبة تعليمية تشمل دراسة اللغة العربية ومجموعة مختارة من الكتب التعليمية باللغة العربية. لكن وبعد أن أصبح هو (Hu) شهيرا في مقاطعة شانكسي (Shanxi)، حضر المزيد من الطلبة بحثاً عنه وعن تعليمه، واستطاع الانفاق على الطلاب باستخدام موارد أسرته[1].

وبحسب بعض المخطوطات التاريخية، حتى لو كان هو دينغزو (Hu Dengzhou) مؤسس التعليم المسجدي للإسلام، لا يمكن اعتباره أنموذجاً لهذا التعليم الذي اعتُمد في وقت لاحق. وكان أسلوب تدريس هو (Hu) تدريساً إسلاميا مبنيّا على الأسرة. ومع ذلك، درّب بعض الطلاب، وفي جيل الطلاب المتدربين على أيدي

(1) «Inscription of Master Hu'a tomb», in Bai Shouyi, «Biographies of Chinese Islamic Scholars» in Collected Works of Bai Shouyi, Kaifeng: Henan University Press, 2008, p405.

طلاب هو (Hu)، بدأ ينتشر برنامجه التعليمي إلى يونن. ومن الصعب القول ما إذا كان هناك أستاذ مؤسس للتعليم المسجدي في يونن.

وبعد استعراض هذا التاريخ، يمكننا القول -على الأقل- أن ما زو كان قد أدى دوراً مهماً في تعليم الإسلام، مطورا من نظام هو دينجزو (Hu Denghzou) إلى نظام مجتمعي. وأصبح التدريب الديني المحلي ممكنا فقط بعد إنشاء العناصر المشتركة (Common Items) بعد ما زو، وبعدما أضاف التعليم الإسلامي التفسير الكونفوشيي.

إضافة إلى ما زو، كان هناك بعض المدرسين الآخرين المشهورين والذين كانوا قد اكتسبوا مكانة عالية جداً بين مجتمعات الهوي، ومنهم تساي روي (Cai Rui)، فقد ترعرع تساي روي في زاو زو (Zhaozhou) في محافظة دالي، وكان طالبا للسيد هوانغ (Huang). وبعد وفاة هوانغ، ذهب تساي (Cai) إلى هونان (Hunan) ليتبع معلما يدعى السيد ما (Ma). وبعد ذلك، درس في كانتون (Canton) ووتشانغ (Wuchang) في مقاطعة هوبي (Hubei) لسنوات عدة، ثم عاد إلى يونن، ودرّس في قرية ناجية ينغ (Najia Ying)، وهو المجتمع الذي ذكر سابقاً. وظل يدرّس هناك حتى وفاته في عام ١٦٩٣م[1]. وهناك قصة مشهورة

(1) «Inscription of Master Cai'a Tomb», in Dali Hui Study Association Edited., This History of the Hui in Dali, Kunming: Yunnan Nationalities Publishing House, 2009, p264.

تتحدث عما قام به تساي روي، والتي يمكن من خلالها أن نتعلم أن الممارسات الإسلامية تتمثل في عملية إعادة تأكيد مع تطور البناء المجتمعي.

والمغزى الرئيس لهذه القصة، هو أنه أثناء عهد كانغسكي (Kangxi) (١٦٦٢-١٧٢٢)، مرّ السيد تساي ومعه أستاذه السيد ما (Ma) مرة في قرية ناجيانغ ييننغ في طريقهم إلى مكة المكرمة، فوجدوا أن قريتين هناك كانتا قد خانتا دينهم بسبب رغبتهم في شرب دم الدجاج. ولهذا السبب، تخلى السيد تساي (Cai) عن الحج الذي كان قد عزم على القيام به، وقرر التوقف عند ناجية ييننغ (Najia Ying) لتعليم الشعب هناك. في بداية الأمر، لم يسمح له القرويون بالحديث عن الإسلام، ولكن السيد تساي استعمل ماله وادعى أنه رجل أعمال، يبيع الحلوى للأطفال. كان يستخدم حيلة: إذا لحقه طفل ليتعلم جزءاً قصيراً من القرآن، كان تساي يكافئه بقطعة من الحلوى. وبعد فترة، أحب جميع الأطفال البقاء حول السيد تساي، وتعلموا الكثير من القرآن. يوما بعد يوم، ساعد السيد تساي الناس على ذبح الدجاج، واستبدل رغبتهم في دم الدجاج بأنواع أخرى من الأشياء اللذيذة. أخيرا، أقنع الناس، وقبلوا نصيحته، وعادوا إلى المسجد. وبعد سنوات، كان القرويون هنا فخورين بإيمانهم بالإسلام. وعندما كان السيد تساي يحتضر، قال: «علّمت الإسلام لطلاب هنا، بما يعادل (دو) (dou) واحد

(نحو ٥ كجم) من بذور السمسم.»[١].

كان السيد تساي روي مؤثرا في إعادة بناء التعليم الإسلامي وهيكلته في المساجد، إذ مارس بناء أسلوب التعليم المسجدي في ناجية ييننغ. وتُبين سجلات أخرى أن إعادة التشكيل هذه كانت –أيضا– جزئية بسبب تأثير العالم العربي. فقد ذكر نقش عربي وُجد في هذه القرية أنه عندما أسس تساي روي مدرسته في مسجد القرية، انضم داعية للإسلام أرسله ملك اليمن أيضا إلى تساي روي. وقد ذكره سكان القرية باسم السيد اليمني. حاول السيد اليمني والسيد تساي إقناع القرويين بالتخلي عن العادات غير الشرعية التي تعلموها من الأجيال السابقة. وطلبا من القرويين ممارسة الإسلام الحنيف. وبناء على تعليمهم، بدل الناس عاداتهم وعادوا إلى الإسلام. وكُتب هذا النقش الحجري من كلمات غير عادية من اللغتين العربية والفارسية، والكتابات الصينية للحروف العربية[٢]. استناداً إلى تاريخ قرية ناجية ييننغ وتساي روي، وجدنا أن شبكة تعليم الإسلام للهوي القائمة على المسجد لم تكن مقصورة على يونن، بل كانت شبكة وطنية تغطي كل الصين، وكانت مربوطة أيضا مع العالم العربي.

أصبح شعب الهوي تدريجياً مجتمعاً مبنياً على الشبكة، فالسمات

(1) «Master Cai», in Bai Shouyi, «Stores about Yunnan» in Collected Works of Bai Shouyi, Kaifeng: Henan University Press, 2008, pp774-775.

(2) «The Inscription in Arabic at Najia Ying Mosque», in Chen Leji Edited, The Selective Archives of Hui Mosques in South China, Guiyang: Guizhou Nationalities Publishing House, 2004, pp309-313.

الاجتماعية والممارسات الدينية غيّرت بسرعة مصير مجتمعاتهم، ووفّرت العناصر المشتركة الموارد للتنظيم الاجتماعي، وأعطت الناس حرية السفر. وقامت الموارد الجماعية بحماية القرويين، ولكن هذا كان خطيرا إلى حدٍّ ما في ذلك الزمن المتغير. ووفقاً لأقوال بعض المسؤولين؛ يصف النص الآتي الانطباع الذي تركه الهوي، بحسب المجتمعات المجاورة، بسبب الترابط الاجتماعي القوي جداً.

«سوف يكون فقراء الهوي عمّالاً للمناجم، وسيكون الأغنياء رجال أعمال ينقلون البضائع إلى بورما، وسوف يكون لهم ثلاثة أضعاف الأرباح. شعب الهوي يحبون الانخراط في الجيش؛ اثنان أو ثلاثة أعشار الجنود هم من الهوي. إنهم يعيشون معا ويسافرون كمجموعات، ويساعدون عصاباتهم في الخلافات، يبنون مساجد في غاية الروعة، ويدرسون دينهم هناك، ويحبون استقبال زوار الهوي. إذا كانت هناك دعوة محددة، يمكن أن تُرسَل المعلومات على قصاصة من الورق، وهي أسرع من البريد الرسمي. وبهذه الطريقة، على الرغم من أنهم أقلية، ما يزال لديهم الكثير؛ لذلك هم أقوياء» [1].

تهدف المعلومات المذكورة سابقا إلى شرح النزاع قبل ثورة البانتاي (Panthay)، والتي حدثت بعد انهيار حقول المناجم، بين العشرينيات من القرن التاسع عشر وثلاثينياته. هناك كثير من

(1) Ma Enfu, «The Political Situation of Yunnan», In Bai Shouyi, «Stories about Yunnan» in Collected Works of Bai Shouyi, Kaifeng: Henan University Press, 2008, p771.

الدراسات الأكاديمية عن الهوي وثورة البانتاي في يونن[1]، ولكن، تهدف دراستي هذه للقول إن إعادة بناء مجتمع الهوي من نظام ديني قائم على أساس الأسرة ليكون نظاما دينيا مجتمعيا كان تحولاً تاريخياً، بناء على بعض الظروف الاجتماعية في جنوب غربي الصين. لقد كان جزءا من المجتمع الصيني، ولكن بناء مؤسسة خيرية كمبدأ للمؤسسة الاجتماعية المبنية على المسجد وفرت إمكانية الحراك الاجتماعي والتماسك الجماعي في نسج شبكة مجتمعية متينة. وعلى الرغم من ذلك، فقد قدمت موارد الإسلام والكونفوشية رأس المال الاجتماعي والثقافي في هذا التحوّل، الذي استمرأه علماء الكنفوشية بجديّة، فيما يتعلق ببناء البنية التحتية الثقافية. فكانت طريقة لـ «المجتمع المتخيل»؛ بسبب صنع علم الأنساب وتفسير الإسلام بوساطة المفاهيم الكونفوشية.

(1) David G. Atwill, The Chinese Sultanate: Islam, Ethnicity and the Panthay Rebellion in Southwest China, 1856-1873. Stanford: Stanford University Press, 2005.

الخاتمة

أنشأ التحوّل الاجتماعي من مينغ (Ming) إلى كينغ (Qing) سلسلة من المشكلات لمفكري مينغ، فيما يخص أزمة الهوية لديهم. حاولوا، من ناحية، إيجاد موارد من الدين الإسلامي؛ لذلك غيّروا مسارهم في الانضمام إلى بناء نظام تعليمي مجتمعي، وإقامة سلطتهم الدينية، استناداً إلى جمع الأنساب. في الوقت نفسه، تغيرت أيضا مجتمعات الهويهوي (Huihui) من خلال عملية إعادة البناء. وبني نظام خيري مجتمعي مبنيّ على أوقاف المسجد من أجل دفع ضرائب الدولة، ودعم التعليم الحكومي على الشبكة المجتمعية، ووفّرت الجمعية الخيرية: «العناصر المشتركة» (Common Items)، آلية لبناء شبكة من خلال تبادل الطلاب، والتزاوج، والطقوس، والمهرجانات، والتبرعات الخيرية.

لذلك، أصبح هذا النظام هو البنية التحتية للتجارة الدولية بين الصين وبورما، وتايلاند، أو بين المدن والمناجم الحديثة، من العشرينيات إلى ثلاثينيات القرن التاسع عشر؛ لذلك، كان قد وطّد نظام الجمعيات الخيرية الهجرة والتنظيم، ووفّر أساليب للتنظيم الاجتماعي في الصراعات في ثورة بانتاي (Panthay)، عندما تقلصت المناجم بعد ثلاثينيات القرن التاسع عشر.

وعندما أصبحت آلية الشبكات الاجتماعية مبنية على علم الأنساب، والتفسير الديني، ومبادئ شؤون الجماعة، والضيوف، أُنشئت صناديق الضيافة في الهوي، ونما النظام المجتمعي الخيري تدريجيا في الوقت نفسه، لا سيما بين ال ١٧١٠ و١٨١٠م.

وتبرع الناس بأملاكهم للمسجد في البداية؛ وعندما كثرت أوقاف المسجد، تمكّن من الحفاظ على نظام التعليم، وتنظيم المهرجانات المجتمعية، وأداء دور الممثل المجتمعي للتعامل مع الدولة. وبهذه الطريقة، أحب الناس أن يتعاونوا مع بعضهم بعضًا، كأعضاء في هذه الشبكة، وفي ظل تلك العناصر المشتركة (Common Items).

يمكن أن تقوم العناصر المشتركة بحماية الأفراد، لمساعدتهم على أن يتحرّروا من مهامهم الرسمية. وهكذا، اعتبر الناس العناصر المشتركة منظمة سياسية، لأن هذه المنظمة يمكن أن تُكسب القرويين مزيدا من الحرية في شؤونهم. وفي هذه الشبكة، كان ممكنا للناس أن يتشاركوا في الفوائد في كل مكان. بهذه الطريقة، ينبغي أن ننظر إلى النظام الخيري هنا كنظام للمشاركة في شبكة، ولكنه أدى دوراً حاسما في تحريك مجتمع الهوي.